

## العمارة الفينيقية

يختلف البناء الاجتماعي للشعب الفينيقي عن بقية الشعوب القديمة في الشرق، حيث كان يتكون من طبقة الأغنياء الارستقراطيين، البحارة وأصحاب المهن الحرة، إضافة إلى الجنود والعمال.

كانت التجارة العمل الأول للمواطن الفينيقي وخاصة التجارة البحرية، وهذا ما سمح له الاحتكاك بشعوب المتوسط كافة، وبذلك نقل الكثير من تأثير العمارة والحضارة في حوض المتوسط إلى بلاده، وبنفس الوقت، نقل الكثير من معارف الحضارة في الشرق لشعوب البحر المتوسط وجزره.

لذلك نرى أن المدن الفينيقية مثل صيدا وصور وبيبلوس وعمريت وأوغاريت وغيرها من المدن، قد اتسم تخطيطها وتطور بنائها، بشكل الفعاليات التي يمارسها الشعب الفينيقي. كما أن شكل الحكم في بلاد الفينيقيين، وهو أسلوب دولة المدينة: بحيث تشكل كل مدينة كبيرة مع عدة مدن أصغر حولها دولة لها، قد أثر على التكوين السياسي للشعب الفينيقي، الذي لم يعرف في تاريخه الوحدة السياسية أبدا بين مدنه، التي قامت وازدهرت خلال الألف الثالث والثاني قبل الميلاد.

فلا عجب إذا أن نرى أن التباين كان واضحا بين نماذج المباني المشيدة، ولا سيما المساكن والمدافن، فالعمارة الفينيقية بوجه عام اتسمت بشخصية كونتها طبيعة العلاقة بين الإنسان والبحر، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، لأن نظرة الشعب للملك أدت إلى إهمال بناء القصور والاهتمام بالعمارة العسكرية والتحصينات الدفاعية، إضافة إلى المباني ذات الصفة العامة.

ومع ذلك يمكن القول بأنه لم هناك شخصية معمارية متميزة للشعب الفينيقي، وإنما كانت الأبنية تحمل مزيجا من التأثيرات المعمارية المصرية والرافدية والمتوسطية، الآتية من جزيرة كريت والعالم الإغريقي القديم، إضافة إلى أن الشعب الفينيقي ركز كل اهتماماته على التجارة والسفر، ولم يهتم بنواحي الحياة الأخرى (السياسية والفنية) اهتماما كافيا.

## العمارة في أوغاريت

يعرف موقع مدينة أوغاريت الأثرية باسم تل رأس الشمرة، ويبعد هذا التل حوالي /9/ كم شمال مدينة اللاذقية على الساحل السوري. تمثل أوغاريت مركزا مهما من المراكز الحضارية السورية، ذات المساهمة الاستثنائية في تطور الحضارة الإنسانية.

بدأ التنقيب بموقع أوغاريت عام /1929/ بقيادة العالم الفرنسي "كلود شيفر"، الذي كشف في هذا الموقع عن ست طبقات حضارية متتالية يعود أقدمها إلى العصر الحجري الحديث. بينما تعود أهم البقايا المعمارية الفينيقية في أوغاريت، إلى الفترة الواقعة بين عام /1200-1600/ قبل الميلاد.

تبلغ مساحة تل رأس شمرا حوالي /36/ هكتارا، بينما يبلغ أقصى ارتفاع له حوالي /17.5/ م، وقد كشف للآن عن مساحة تعادل 1/8 من مساحة التل تقريبا، ومن خلال المكتشفات تبين أن الإنسان سكن هذه المنطقة منذ الألف السادس والخامس قبل الميلاد، واستعمل المعدات والفخار الذي لا يختلف عم معدات وفخار المواقع الداخلية في سورية، دلالة على أن المجموعات البشرية التي كانت تقطن أوغاريت ومنطقة الساحل بشكل عام، لا تختلف عن المجموعات البشرية التي تقطن باقي المناطق في بلاد الشام.

تتوزع المباني في مدينة أوغاريت على شكل مجموعات معمارية حول الأكرابول، الذي تعتبر مجموعته المركز وأكبر هذه المجموعات، وثم هناك مجموعة المدينة المنخفضة ومجموعة الحي السكني وحي القصور والمجموعة الجنوبية، ويمكن وضع هذه المباني كلها في نوعين من المباني: المدنية والدينية.

## العمارة المدنية:

إن ضيق الشريط الساحلي في بعض المناطق من ساحل بلاد الشام، قد فرض طبيعة محددة على توسيع المدن الفينيقية وتطور مبانيها بشكل عام، كما كان دافعا أساسيا في حصر المباني في مساحات ضيقة وجعل التوسع فيها بشكل عامودي، يتألف البيت الفينيقي من عدة طوابق، يغطي الطابق الأخير سقف مستوي أو مائلا قليلا، وكان يشمل المسقط الأفقي للمسكن على فسحة سماوية تحيط بها الأروقة التي تتقدم أقسام البيت، وتتكون الطوابق العلوية من أروقة مفتوحة تتوزع خلفها القاعات والغرف. والمواد الأولية المستعملة في البناء هي الحجارة والخشب بشكل رئيسي.

أما بالنسبة لبناء القصور فإن التنقيبات التي جرت في أوغاريت، كشفت عن بقايا القصر الملكي الذي يمكننا من خلاله التعرف على أسلوب الإنشاء والتصميم في القصور الفينيقية، التي استخدموا في بنائها الحجر، كما استخدموا العقود والقباب في التسقيف، وقصور الفينيقيين تشبه إلى حد كبير القصور الملكية المكتشفة في جزيرة كريت.

### القصر الملكي:

يحتل القصر مساحة تتجاوز /10/ آلاف متر مربع، يوضح المسقط الأفقي للقصر وجود سبعة مداخل، لكل منها باب محفوف وعمودين، كما يتقدم المدخل الغربي للمدينة ساحة مبلطة تفصل القصر عن القلعة، وتؤدي إلى درج يؤدي إلى قاعة تسبق قاعة الاستقبال، وهي قاعة الانتظار التي كشف فيها عن عدد من المقاعد الحجرية، لجلوس الزوار الذين ينتظرون الدخول إلى القصر الملكي، ومما يلفت النظر وجود عمود وسطي في غرفة الانتظار ينحرف عن محوره قليلا ليتسنى مرور العربات، كما تطل غرفة الانتظار من الجهة الشمالية على مكاتب الإدارة وهي عبارة عن خمس غرف معزولة عن بقية البناء، ويحيط بغرفة الانتظار غرفة للحرس مجهزة بكوة للمراقبة وبعد غرفة الحرس يتم الدخول إلى ساحة الشرف عبر مدخل واسع، وتطل ساحة الشرف من الجهة الجنوبية على رواق كبير ذي أعمدة ينتهي بمدخل القصر الداخلي، ويحيط بالساحة من جهتها الغربية برج مرتفع طابقه السفلي مخصص لعربات الملك وخيوله، كما تحيط بالساحة غرف متعددة لكل منها وظيفة خاصة، وقد اكتشف في هذه الغرف أرشيف القصر، الذي كان قسم منه مخصص لشؤون الدولة الخارجية.

ولم يكن القصر الملكي الكبير في أوغاريت هو المبنى الملكي الوحيد، فهناك عدة قصور كشف عنها: أهمها القصر الشمالي الذي يضم أكثر من /17/ غرفة وصالة وساحة. والقصر الجنوبي الذي يضم عدة صالات وغرف مع ساحة واحدة وعدة مداخل، وغيره من المباني.

## العمارة الدينية:

وتشمل المدافن والمعابد، وحاز بناء المدافن على اهتمام أكبر عند الفينيقيين، حيث أنشأوا المدافن داخل وخارج البلاد الفينيقية، والمدافن الفينيقية منها المبنى بالحجر ومنها المنحوت في الصخر. وهي مدافن تتكون من مجموعة من الغرف تتوزع حول غرفة الدفن الرئيسية، وتضم باقي الغرف الهدايا والقرابين والأشياء الخاصة بالميت والتي اعتاد استعمالها خلال حياته.

ومن أهم نماذج المدافن الفينيقية، تلك المكتشفة في جبيل وعمريت وهي مدافن منحوتة في الصخر، لها مداخل تتوجها جبهة بارزة، وتتوزع في نموذجين من المدافن:

**النموذج الأول:** عبارة عن ثلاثة أشكال اسطوانية ترتكز فوق بعضها البعض، والجزء العلوي من الأسطوانة الأخيرة ذو شكل نصف كروي، ويبلغ ارتفاع المدفن حوالي 10/ أمتار، ويبلغ عمقه حوالي 5/ متر.

**النموذج الثاني:** وهو متأثر إلى حد بعيد بالأهرامات المصرية، فالشكل الخارجي عبارة عن شكل هرمي يرتكز على مصطبة مربعة الشكل، وغرف المدفن محفورة في باطن الأرض وينزل إليها بواسطة درج حجري.

وقد كشف عن نموذج ثالث من القبور الفينيقية في أوغاريت وهو ما يعرف باسم اللحد: وهو نوع من القبور قريب شكله من القبور الميكانية الإغريقية القديمة، ويتألف من غرفة مستطيلة الشكل ذات سقف قبوات مقوسة، ويبلغ ارتفاع السقف 3/ متر، وطول الغرفة 3.75/ م وعرضها 3.1/ م، ويضم اللحد مدخل بطول 3.2/ م، وعرض 1.4/ م وله سلم من 8/ درجات، والبناء بكامله من الحجر المنحوت.

أما بالنسبة للمعابد فهناك نموذجان من المعابد الفينيقية:

**النموذج الأول المغلق:** وهو متأثر بالعمارة الرافدية والسورية القديمة.

**النموذج الثاني:** وهو عبارة عن صالة مكشوفة من الأعلى يتوسطها مذبح لتقديم القرابين ومصطبة لوضع تمثال الألهة عليها. ومن أمثلة هذا النموذج ما كشف عنه في عمريت، وبشكل عام تتسم المعابد الفينيقية بالبساطة والبعد عن التعقيد. وكشف عن معبد الإله داغان (داجان) في أوغاريت وهو يختلف عن النموذجين السابقين: إذ يضم ساحتين مستطيلتين محاطتين بجدران ضخمة، ومبلمطين بالحجر المنحوت.

## أهم اللقى الأثرية في أوغاريت:

- الرقم المسمارية: التي كشف عن معظمها في القصر الملكي، وبعض البيوت خصوصا في بيت كبير الكهنة. حملت هذه الرقم الطينية مئات النصوص المسمارية، وقد كتب بعضها بالأبجدية الأوغاريتية، أما النسبة الأكبر من هذه النصوص فقد دونت باللغة الأكادية. ومن النصوص المهمة التي كشف عنها في أوغاريت، النصوص الأدبية التي تتضمن الأساطير والملاحم الأوغاريتية ونصوص المعاهدات الدولية، فضلا عن المعاجم.
- القطع العاجية: الرائعة مثل قطع "السريير الجنائزي" وقطعة "وجه الأمير"، فضلا عن منحوتات أخرى مثل منحوتة الإلهة عشتار.
- قطع الحلي والجواهر: والأوزان الحجرية الخاصة بمنطقة أوغاريت.
- الأختام بأنواعها: الأسطوانية والمسطحة، التي تمثل عصورا مختلفة وتقاليد فنية متنوعة.
- الأواني الخزفية: سواء المحلية أم المستوردة من قبرص ومناطق بحر إيجه.
- المنحوتات الحجرية وتمائيل البشر والآلهة: مثل تمثال رب الأرباب إيل الجالس على عرشه.
- التماثيل البرونزية (المطلية بالذهب): مثل تمثال الإله إيل الذي يرتدي التاج المصري، وتمثال الإله بعل بوضعية القتال.
- الكثير من الأدوات البرونزية: الفؤوس والأسلحة والأدوات الزراعية مثل المناجل وغيرها.

د. عبير شذود